‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

صور من الاتجاه التقليدي في بناء القصيدة العربية لدى الشاعر بشير لول محمد

إعداد
الدكتور أول محمد ثاني

الملخص:

فهذه المقالة بعنوان:"صور من الاتجاه التقليدي في بناء بعض القصيدة العربية لدى الشاعر بشير لول محمد" حاولت إبراز صور من إتجاهاته تقليدي في بناء قصائد العربية وتركزت المقالة على بعض قصائده في المدح, والرثاء والوعظ والإرشاد, وتناولت المقالة تاريخ موجز للشاعر, وشرحت الدور الشعراء الشماليون في نشر اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا, وأطالت المقالة النظر في القصائد المختارة وبينت ما فيها من صور التقليدي في بنائها وبينت ما فيها من اتجاهات الشاعر التقليدية في الأغراض الشعرية, والأسلوبية وغير ذلك, وأوضحت المقالة على أن الشاعر بشير لول محمد تأثر كثيرًا في قصائده بالقدماء من علماء هذه البلاد أمثال الشيخ عبد الله بن فودي، والسلطان محمد بلّو، والشيخ أبي بكر محمود جومي، والشيخ ناصر الكبري، والشيخ آدم الإلوري وغيرهم. وفي خلال هذه الدراسة تجلى للباحث جوانب من ثقافة الشاعر بشير لول محمد وشاعريته ومقدرته الأدبية.

ABSTRACT

This article titled "Basheer Lawal Muhammad's Traditional Orientation in Poetic Formation " is an attempt to explore the format of the poems of Mal Basheer Lawal Muhammad which is observed to be predominantly traditional. The article studied selected poems and eulogy, panageric and admonition. The article gave a brief account of the biography of the poet, explained the role of poets in Northern Nigeria's civilizational awareness. The article then centered on analyzing the poems with the aim of discussing it's features, formation and literary tradition as well as linguistic style of the poet. The article concluded that Basheer Lawal Muhammad's literary prowless is influenced by a number of great Nigerian Sheiks who doubled as literary icons, notably Sheik Usman Bn Fodio, Sultan Muhammad Bello, Sheik Abubakar Mahmoud Gumi, Sheik Nasiru Kabara, Sheik Adam Abdullahi Ilorin and the likes. The research discovered evidently that the poet read widely and his reading and research are output serve as foundation to his literary works.

المقدمة:

قام علماؤنا الشماليون بأدوار ملموسة في نشر اللغة العربية وثقافتها، وقد أنتجوا شعرا عربيا رفيعا من حيث الفكرة والأسلوب، وكانت قصائدهم في مختلف الأغراض تمثل لنا جوانب متعددة من نواحيحياتهمالسياسية والفكرية والأدبية، سوى أن هؤلاء العلماء ليسوا متفرغين لقرض الشعر، بل إنهم جمعوا بين الأعمال الأدبية والدعوة إلى الله تعالى، وعلى الرغم من ذلك استطاع كثير منهم أن يقف في صف واحد مع الشعراء والأدباء العرب. ومن مشاهيرهم الذين ساهموا وهيئوا لنا كنوزًا ثمينة في ميدان الشعر: الشاعر بشير لول محمدالذي تهدف هذه المقالة المتواضعة إلى دراسة بعض اتجاهاته التقليدية في بناء بعض قصائده العربية. ولتحقيق هذا الهدف وزع الباحث المقالة إلى النقاط التالية:

- نبذة عن حياة الشاعربشير لول محمد.

- اتجاه الشاعر التقليدي في الأغراض الشعرية.
- اتجاه الشاعر التقليدي في بناء القصيدة العربية.
- الخاتمة.
- قائمة الهوامش والمصادر.

نبذة عن حياة الشاعر بشير لول محمد:

هو الشاعربشير لول محمد: ولد الشاعر بشير لول محمد الزنفري بحارة تُدُنْ وَدَا زَارِيَا سنة 1979م، أيام أن كان والده بزاريا طلبا للعلم والتكسب، انتقل والده مع أسرته من قريته الأصيلةتسمى قَوْرَنْ نَمُودَ من ولاية زنفرا بشمال نيجيريا حاليا، فااشتهر الأب بالتجارة أكثر من اشتهاره بطلب العلم ويلقب بـ"مَيْ زَرِي"[1]، ومنه أخذ الشاعرمبادئ القرآن الكريم منذ الصغر، ثم التحق بمدرسة الشيخ شعيب آدم إمام الجامع الآن في حارة "طَنْ مَغَاجَ" وختم القرآن عنده.

إلتحق بمعهد الشيخ عمر جومي رحمه الله رحمة واسعة,و معهد الشيخ عبد القادر حيث تعلم شتى العلوم الدينية والعربية، والتحق بخادم القرآن ومعلم التجويد والروايات الشيخ جعفر عبد الرحمن مُورَا وحفظ القرآن الكريم عنده، وتعلم العلوم عند علماء شتى منهم الشيخ أمين آدام الذي تعلم منه علم النحو والبلاغة والعروض.

وبعد أن صار الشاعر بشير لول محمد متمكنا في اللغة والدين إلتحق بالمدارس النظامية منها مدرسة علوم الدين الإسلامية 1986-1991م، ثم كلية الشيخ أبي بكر محمود جومي 1996-1999م، كما أنه صار مدرسا بها سنوات، وقد تعرض خلال دراسته بها لأفكار النهضة العربية وحركاتها التجديدية والتقليدية، ثم التحق بجامعة أحمد بلّو زاريا حيث حصل على درجة الليسانس في القانون 2007م، واختير الشاعرخطيبا ونائبا لإمام المسجد الجامع في حارة "تُدُنْ جُكُنْ".

اتجاه الشاعر التقليدي في الأغراض الشعرية:

ليس من الإنصاف في شيئ أن نوازن الشعر العربي في نيجيريا بالشعر العربي في البلاد العربية الأصيلة، وفي أمثال مصر والسودان والمغرب وغيرها من البلاد التي فتحها العرب واستوطنوها حتى أصبحت العربية لغة الأم لأهلها في تخاطبهم اليومي في الأسواق والمنازل، وفي مجتمعات الأفراح والأتراح بل في كل مجالات الحياة، وذلك أننا لو تصفحنا الإنتاج الشعري الذي بأيدينا من تراث العلماء النيجيريين في خلال القرنين: التاسع عشر والعشرين الميلاديين لوجدنا أن قسطا كبيرًا منه تقليد للشعر العمودي في بحوره وقوافيه، وحركة رويه، وافتتاحياته التصريعية. فهو –والحق يقال- ينقل لنا الثقافة العربية لا النيجيرية.[2] سوى أن هذا لم يكن لينحط من قيمة الشاعر النيجيري، لأن التقليد والمحاكاة في الشعر ليس بدعا إذ ما من شاعر قديم أو حديث إلا وتأثر بشاعر سبقه أو نقل معنى أتى من شاعر معروف قبله.[3]

ومهما يكن من أمر، فإن الشاعربشير لول محمد كان شاعرًا مجيدًا، تحتوي قصائده على الأغراض التقليدية السائدة في هذه البلاد كالمدح، والرثاء، والحكمة، والفخر، والحماسة، والتاريخ الشعري[4]، والوعظ والإرشاد، والمدح النبوي.[5] وإليك نموذجا من شعره في "الحكمة" حيث يقول:

لقد خلق الله الإنسيَّ وشرفه ** وفضله جسما يفوق بعقله
وعلمه علما يدوم مفكرا ** أباح له كل الثمار بحقله

وحرم أثمـــــارا تضـــــر بـــصـــحـــتـــه ** إذا أكلت تؤذي الأكول بـــعقلـــه
ألم تر أن الـعقل أنفس مـوهـبـــــه ** تـكـون إنـســانـا يـزيـن بـقـولـــه
لـقد شـرف الشرع الحنيف عقولنـا ** وحصـنهـا حـفـظا تجيء بـنـقـلـــه
لـقد كـان لـلـعقـل الـفهـيـم مـكـــارم ** بـــه ثـبـت الـتـكليف أمرًا بجعلـــه
بـــه خمـــس كـليـاتـــه تـتـحـتـــم ** وفي فـقـده رفـــع الأمور بأصلـه[6]

ألا ترى أن الشاعر بارع في نظم هذه القصيدة،وذلك لأنه سلّط الأضواء على إصلاح الفرد والمجتمع، وعلى تغذية العقل بمعاني الحقيقة، وعلى إرشاد التائهين إلى سبيل الهداية. وأما ما جاء في باب الوعظ والإرشاد فمنه قوله في مطلع إحدى قصائده التي أسماها "التفرق سبب التمزق"فقال:

يا إخـــوتى اعتصـــوا بالله بارئكم ** فالخلف وهَنكم في الروح والمـدد
قـــد قال ربكـــم بالحبـــل اعتـــصموا ** لا نصر في جبناء القلب والعـدد
قد أثبتت حجج من غير ما ريب ** أن الخـــسائر في خـلف وفي لـدد
هذا كـــتابكم من عنـــد ربـكـــم ** إن النـــزاع لذو فـــشل وفي أمد
إنى نصـــحتكم كـــي تذكروا حدثا ** قد كان في سجل التـــاريخ والمتد
فهؤلاء بـنـــو العباس قد ملـــكوا ** بـــلـد الـســـلام بأرض تلك بـغـــداد
لاتقتدوا بهـــمُ كي تهتدوا سبلا ** لا تمســكوا بـحبال الـــشر والرقد
إنى وقـــفـــت ســـلام الله يجـمعنا ** فالله يـــربـطنـابالحـق والسدد[7]

وهذه القصيدة تمتاز بجودة الأسلوب ونزعة الارشاد.وأما المدح فهو أحد الأغراض الشائعة بين الشعراء في إفريقيا الغربية، والاستجداء، ولهذا ابتعدوا بمديحهم عن التكسب، بل كان معظم المدح عندهم مدحًا دينيا للإسلام ورسوله العظيم، ثم للعلماء والمشائخ والتبرك بهم[8] ومثال ذلك قصيدته التي يمدح بها الشاعرطالبه البـــار!عند الفراق حيث يقول:

بسم الإله أقـــول هذا القـــول ** في فـــرحـــة وبـــشارة الإخـــوان
لـــما أردت فـــراقنا لـــذهابك ** بـــلد الـعلـــوم و سبرة الأقـــران
عـــاشرتنا بـــالبر في إخلاصـــه ** وخدمتـــنا بالصـــدق والإحسان
ولـقد طلـــبت العلم في إرشادنا ** تـــأتي الدروس مبـكر الأزمـان
رغـــم الـــبرودة والحـــرارة لم تهـن ** وحـــضـرتـــنا للعلم كالشـجعان
والآن تحضر مصـــر خذ إنـذاري ** ولعـــلـــه يـــهـديك للـعـرفـان
تلك البـــلاد لخـــيرها ولئيمها ** فـــيـــها من الإرشـــاد والـبـطلان[9]

ومن هنا، نرى أن الشاعربشير برهن على قوته الشعرية حيث اشتملت قصائده على البحور الخليلية السائدة في هذه البلاد وغيرها، وجاء روي هذه القصائد من حروف الهاء والدال والنون ونحو ذلك مما يجعل القصائد سهلة التناول، وجميلة الجرس، ولذيذة النغم.

اتجاه الشاعر التقليدي في بناء القصيدة العربية:

تكلم نقادنا قديما وحديثا عن بناء القصيدة وذلك من حيث المطلع والمخرج والنهاية. وطلبوا في المطلع أن يكون واضحا بينا، لا غموض فيه ولا لبس في معناه، ولا صعوبة في فهم مرماه، وألا يكون معقد الترتيب، مضطرب الأسلوب. ومنه أن يكون متساوي الأطراف من حيث المبني والمعنى، فلا يكون سطره الأول مرتفعا والآخر منخفضا متخلفا كما أوجبوا أن يكون بعيدًا عن كل ما يبعث في النفس التشاؤم والتطير أو التقزز والاستنكار، كأن يخاطب ملكًا بما يكره، أو بكلمة توحي بشيئ يبعث في نفسه عدم الارتياح.[10]

ومن المعلوم أن الجاهليين كانوا يبدأون قصائدهم بذكر الوقوف على الأطلال أو الغزل،ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى غرضه الأساس, وعلى هذا المنوال التقليدي سار بعض علماء هذه البلاد سوى أن ذلك

لم يمنع قريحتهم الشعرية من اليقظة والنهوض بل استجابوا لبيئتهم، ولذلك تجدهم في الغالب يبدأون قصائدهم بالتسبيح لله تعالى والثناء عليه أو الشكر له، وبالصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وصحبه الغر الميامين، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر في مطلع بعض قصائده:

حـــــــمـــــدا لـــربي قـــادرا وجـــليـــلا ** وصـــــــلاة ربي خـــــــيرها تفضيلا
لـــــرســـــولـنـــا وحـــبيبنا تـــسـلـيـــما ** وصـــــــحـــــابـــــة غـــــرٍّكرام جـــــيلا
والآل ثـم الـتـــــابـعـين لـشـرعـــــــه ** ولـمن يـــقوم بـــسنـة تـــرتـــيـــلا
قد خص رب العرش نسمة آدم ** بالعلـــــــم والآداب ذا تـــــفضيلا
طلـــــب العـــــــلوم وجـــوبه يتحتم ** لا خير فيمن قد يعيش جهولا
فـــــإذا طلـــــبت العـــلـم صرت مأدبا ** فهم وحفظ كي تكون عقـــولا[11]

ومنها قوله في مطلع قصيدة لذكر مناقب شهر رمضان:

شـــهـــر الإلـــــه بـــه إنـــــزال قـــــرآن ** فـاظـــفر بـــه قـــصدا فى نـيل غفـــران
تلك الجنان لـــــــه قد فتِّحت هـــكـذا ** قد غـــأُلـــقت عفـــوا أبـــــواب نيـــران
هذى الشياطـــين قد أصفدت غـُـلاًّ ** والناس قد جهدوا في ترك عـــصيـــان[12]

ومنها قوله:

حـــــــمـــــدا لـــربي قـــادرا وجـــليـــلا ** وصـــــــلاة ربي خـــــــيرها تفضيلا
لـــــرســـــولـنـــا وحـــبيبنا تـــسـلـيـــما ** وصـــــــحـــــابـــــة غـــــرٍّكرام جـــــيلا
والآل ثـم الـتـــــابـعـين لـشـرعـــــــه ** ولـمن يـــقوم بـــسنـة تـــرتـــيـــلا[13]

وفي بعض الأحيان يخوض علماء هذه البلاد في صلب موضوع قصائدهم مباشرة دون أية مقدمة، كما يقول شاعرنا بشير لول محمد فيما يأتي:

زيـِّـــن علـــــومك مخلـــصا لطـــلابها ** إخـــــــلاص نـيـــات الأمـــــور حصولا
لك حـــلية تـــقوى الإلـــــه مـــــؤيد ** زهـــــد وصـــــبر كـــي تـــصـــير جمـــــيلا
خلق الـــــــكرام سبيل علم فاضل ** صـــــدق الـــطـلاب ييسِّـــر التحصيلا[14]

ومنها قوله في مرثيته للشيخ جعفر محمود آدم:

قلبي يذوب ونفسي كلها كمد ** والقلم أمسكه بالأسف والحزن
خبر أتانا صباحا لا مثيل له ** إن الحسود رمى شيخا وذا الحسن
إني حسبت بأن النبأ واشية ** والظن لا يغني للحق والمتن[15]

ومن هنا نرى أن شعراءنا النيجيريين قد بذلوا جهودًا جبَّارة في تحسين مقدمات قصائدهم، حتى أصبحت سهلة متسمة ببراعة الاستهلال.

وأما بالنسبة إلى المخرج أو حسن التخلص، فقد حاولوا الدخول في أغراض قصائدهم بلطف ورفق، سوى أنهم في بعض الأحيان –حسب ذوقهم الأدبي القليدي- يسيرون على نمط الجاهليين وبعض المحضرمين، حيث ينتقلون انتقالا مفاجئًا في غالب الأمر، وسبيلهم إلى ذلك أن يضربوا عما هم فيه، أو أن يطلبوا منك أن تنتقل معهم إلى ما هم منتقلون إليه. وذلك بقولهم "هذه" "دع ذا" "وعد عن ذا" "وبعد ذا" وما أشبه ذلك وقد سلك الشاعر بشير لول محمد هذا المسلك في بعض قصائده حيث يقول:

هـــذه الـــحياة بـــلاءفي جـــوانـــبها ** يوما يسرك فيه الـــــــعيش بالرغد
يوم يجيـــئك بالأحزان والغـــم ** فلا تكن جشعا في الهم بالكمد

إخوانـــنا قتلوا من أجل دينهم ** والله ما نقموا منهم بل الـــحسد[16]

ومنها قوله:

والصـــــالحـــون الأوليـــاء بجلهـــم ** حـــــازوا حـــــقيقا قـــربة الرحمـــان[17]

وبهذا، يتضح لنا أن الشاعر بشير، قد نهج في نظم قصائده منهجًا قلد به الشعراء العرب قديمًا وحديثًا في طريقة التخلص من مطلع القصيدة إلى الغرض الأساس.

وأما حسن الخاتمة في القصيدة، فقد أخذ الباحثون يعنون به عناية كبرى لأنه آخر ما يبقى في الأسماع، وآخر ما يربطك بها ويجذبك إليها،وربما كان في حسن الختام ما يحمل الناس على تتبعها والهيام بها.

وأحسن ما تختتم به القصيدة ما يشعر بالنهاية والختام، بحيث لا يبقى انتظاره شيء، ولا يظل مترقبا لشيء يكون مع ذلك منسجما مع الغرض الذي سيقت له القصيدة بحيث لا يكون غريبا عنها أو نافرًا منها، ولذا قال صاحب الصناعتين: "ينبغي أن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصد إليه في نظمها"[18] وأما علماء نيجيريا فتختتم قصائدهم -غالبا- بالثناء على الله والصلاة على الرسول ﷺ، والدعاء والتوسل بالرسول والأولياء. وكثيرًا ما يذكر الشاعر اسمه في آخر القصيدة أو يختم القصيدة بالبيت الذي افتتحها به بعجزه أو بصدره.ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدة الشاعر بشير لول محمد حيث يقول:

إنـــي بشـــير حـــلتي في زاريا ** بتُدُنْ جُكُنْ هي مســـكن الإخوان
في تـــاســـع زد عـــشـــرة لربيعنا ** يـــارب حصّن خلقنا من واني[19]

ومنها قوله:

عزا وشكرا في تمام قاصر ** ثم الصلاة سلام ربي ذي العلا
على النبي محمد خير الأنام ** وآله ثم الصحابة كلهم أهل المدى
قد سمعتم هذه الأبيات من عبد ** ذليل لا قريحة عنده بل ترتجى
استغفروا ربي وتوبوا عنده ** إنه غفار ذنب أو خطيئة ذي الجنى[20]

وأحيانا أخرى يختم الشاعر قصيدته بالحمدلة.ومن ذلك قول الشاعر:

الحمد لله هذا الشعر ختما ** الحمد لله في الأولى وأخرانا[21]

ومن هذا القبيل أن يفتح الشاعر قصيدته ويختمها بالمطلع نفسه ومثال ذلك قول الشاعر بشير لول محمد في قصيدة مطلعها:

حـــــمـــدا لـــربي قـــادرا وجـــليـــلا ** وصـــــلاة ربي خـــــيرها تفضيلا
لـــرســـولـنـــا وحـــبيبنا تـــسـلـيـــما ** وصـــــحـــــابـــة غـــرٍّكرام جـــيلا

والآل ثـم الـتـــابعين لـشـرعـــــه ** ولـمن يـــقوم بـــسنـة تـــرتـــيـــلا[22]

ومنها قوله في قصيدة ومطلعها:

لا تطلقن لسان القول باللغط ** قيد لسانك بالتفكير في الصدر[23]

وختمها بقوله:

لا تستطيع ردود القول إن صدر ** منك المقال ولا عذر لذي خطر[24]

وفي بعض المواطن، يذكر الشاعر اسمه موصلا باسم والده، ويذكر المذهب الفقهي الذي ينتمي إليه، وطريقته الصوفية وما إلى ذلك.ومن أمثلة ذلك قول الشاعر بشير لولمحمد:

تمـــسكـــوا بكـــتاب الله والـسـنن ** إن التنازع لا يجدى لذى عضد
يا قـــــومنا اتبـــعوا قـــــرآن ربـكـــم ** لا خلف عند اتباع الحق والسدد

إن الصحابة خير الناس لا مــين ** قد فسروا الدين بالأقــوال والمجد
فتبايعــتهم أنــاس هــم على شأن ** في الحق نعلــمهــم علما بلا فقد
هــــم الأئــــمــة أتــباع الــكرام لنا ** ثم الذين أتــوا في الــعــــدِّ كالطود[25]

الخاتمة:

نلاحظ أن هذا البحث حاول أن يلقي ضوءا على الاتجاه التقليدي الذي لجأ إليه شاعر عاش في بيئة غير عربية، وترعرع في عصر ليس بالعصور الذهبى للشعر العربي. وذلك أن الشاعر بشير لول محمد سار في انتاجه الشعري على منوال الشعراء العرب القدماء وخاصة فيما يتعلق باختيار الأغراض والأوزان، وبناء المطلع والمخرج وحسن الخاتمة. وكذلك يتضح لنا أنه تأثر كثيرًا في قصائده بالقدماء من علماء هذه البلاد أمثال الشيخ عبد الله بن فودي، والسلطان محمد بلّو، والشيخ أبي بكر محمود جومي، والشيخ ناصر الكبري، والشيخ آدم الإلوري وغيرهم. وفي خلال هذه الدراسة يتجلى لنا جوانب من ثقافة الشاعر بشير لول محمد وشاعريته ومقدرته العلمية.

الهوامش والمصادر:

1- أي بايع الخيط

2- خليل الله محمد عثمان: الشيخ آدم عبد الله الإلوري حياته وانتاجاته الأدبية، رسالة الليسانس، جامعة بايرو كنو، **1993**م، ص **62**.

3- محمد الأمين عمر (الدكتور): هدية الأحباب والخلان، مطابع الزهراء للإعلام العربي، مصر، عام **1988**م، ص **385**.

4- التاريخ الشعري: عبارة عن الأشعار التي يتناول فيها الشاعر الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت في الأمة على سبيل الحساب والرمز، قيل إن عبد الرحمن البهلول النحلاوي هو الذي اخترعه.

5- خليل الله محمد عثمان: دراسة نقدية لشعر الشيخ محمد ميماسا النفاوي الألوري، ص **4**.

6 - بشير لول محمد (الشاعر) مجموع القصائده المخطوطة توجد نسخة بمكتب الشاعر بحارة تُدُنْ جُكُنْ زاريا.

7 - المرجع نفسه

8- راجع محمد مصطفى لبحاج (الدكتور): مصادر الشعر العربي، مجلة حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجير، العدد الثالث، **1418**هـ/**1998**م، ص**178**.

9- القصيدة ما زالت مخطوطة، وتوجد نسخة منها بمكتبة الشاعر بشير لول محمد بحارة تُدُنْ جُكُنْ زاريا.

10- محمد عبد الرحمن شعيب: النقد الأدبي الحديث، مكان الطبع وتاريخه غير معروفين، ص **302**.

11- بشير لول محمد (الشاعر) مجموع القصائده المخطوطة توجد نسخة بمكتب الشاعر تُدُنْ جُكُنْ زاريا.

12- المرجع السابق.

13- المرجع السابق.

14- المرجع السابق.

15- المرجع السابق.

16- المرجع السابق.

17- المرجع السابق.

18- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحه، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى **1401**هـ-**1981**م ص **503**.

19- بشير لول محمد (الشاعر) مجموع القصائده توجد نسخة بمكتب الشاعر تُدُنْ جُكُنْ زاريا.

20- المرجع السابق.

21- المرجع السابق.

22- المرجع السابق.

23- المرجع السابق.

24- المرجع السابق.

25- المرجع السابق.